الأبعاد الدلالية في
تنوّع رسم الحرف في المفردة القرآنية

د. أنس أحمد قرقز

أستاذ مساعد في اللغة والنحو- قسم اللغة العربية/جامعة الجوف

٢٨٤٣

المُلَخَّص:

يهدف الباحث في هذه الورقة ، إلى الوقوف عند ظاهرة اختلاف رسم الحرف في المفردة القرآنية،وتوجيه هذا الاختلاف توجيهًا دلاليًا، ورأى الباحث أنه من المفيد للبحث التعرّض لظاهرة توثيق النصّ القرآني، منذ نزوله على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه، وذكر الشواهد التي تؤكد ما يذهب إليه الباحث، وجعل هذه الدراسة خاضعة للملاحظة والتحليل الموضوعي، معتمدًا في ذلك على التوجيهات الدلالية للألفاظ في سياقها القرآني، كما سعى الباحث معتمِدًا على المنهجين: التاريخي والوصفي التحليلي ، إلى مقاربة العدول الكتابي عن القاعدة المتبّعة إلى دلالات خاصة رآها كاتب النصّ القرآني.

الكلمات المفتاحية:دلالة الرسم العثماني ، تدوين القرآن الكريم ، الدلالة في رسم المفردة القرآنية .

Semantic Dimensions of Variety of Calligraphy of Qur'anic Vocabulary

Dr. Anas Ahmad Qarqaz*

Abstract

The researcher aims in this paper, to understand the phenomenon of the different calligraphy of the Qur'anic vocabulary to direct this difference into semantic directions. The researcher saw that it would be useful to the research to discuss the phenomenon of the documentation of the Quranic Text, since its descending on the heart of the Messenger of Allah (may Allah bless him) to the time of The Caliph Othman, God bless him, by mentioning the evidences that confirm what he intended to, so the study has become substantive subject to observation and analysis, depending on the semantic guidance of the Quranic words in the context. The researcher, relying on the two approaches: Historical and Descriptive Analysis, tends to approach the writing recantation of the followed rule to special indications as seen by the writer of the Quran.

Keywords: Significance of the Ottoman graphic, Notation of Holy Qur'an, Semantic in The Qur'anic Vocabulary.

*** Assistant Professor in Language and Syntactics in Arabic Language Department at Aljouf University.**

مقدّمة:

حين شرعْتُ في كتابة هذه الورقات، نهجْتُ لها نهجًا مُستَتِبًّا، فيه مشيْتُ، وفي دروبه تهاديتُ، وإن تشعبت إليه الطرق وتعدّدتْ، وكانت بغيتي و طِلبتي، تخليصَ دراسة المعنى من المناهج الخارجة عن اللغة، وجعل هذه الدراسة خاضعة للملاحظة والتحليل الموضوعي، وكان لِزامًا عَلَيّ أن أعرّج على ما كتبه السابقون، وما تناوله اللاحقون، قبل خوض غمار هذا الموضوع.

ما فتئ علماءُ الرَّسم القرآني يقرّرون على وجهٍ من الإحكام، أنّ بيْنَ كثيرٍ من رسم كلماتِ القرآن ودلالتها لُحمَةً جامعةً، وصِلة رَحمٍ قويّة، ولا سيّما تلك الكلمات التي كتبت بوجهين، وهم إذْ يصدرون عن هذا النّظر الثّاقبِ المستحكِم، فإنّهم يضربون المثلَ مستشرفين الباعثَ والتّعليل، وقد تباينتْ مظاهرُ تقريرهم، فألمح بعضُهم إلى تِلكم الصّلات الدّلاليّة ، في ثنْي حديثِه عن أشتاتٍ مجتمعات، أوتحليل كتابات متفرقات، فضَمَّنَ كتابَه فصولاً من هذا،كإشارات الزرقاني في "مناهل العرفان في علوم القرآن"، ومنهم مَن صنع مصنَّفاتٍ قائمةٍ برأسها، ولعلّ أقدمهم ابن البنَّاء المراكشي، الذي وسَمَ كتابه "عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل"، وبين هذه المصنفات وتلك الإشارات، ظهرت مصنَّفاتٌ أخَر،لمْ تُعطِ صورةً واضحة المعالم،في ربط الرسم بالدلالة، وكان حظّها أن اكتفت بتسجيل الرسم الكتابي فقط، وبيّنَتِ الهيئة التي رُسم عليها، فمنها ما زيد عليه على اللفظ، ومنها ما نقص، ومنها ما كتب على لفظه، وخلت هذه

الدراسات من التعليل- كما أشرْتُ سابقًا- أو ذكرتْ تعليلا خجولا، لِاختلاف الخط ، بحسب اختلاف أحوال معاني كلماته.

والباحث إذ يقارب هذا المطلب، فإنه يستجمع حديثًا عن تفسير هذه الظاهرة، تفسيرًا دلاليًّا ولسانيًّا، مُضمِّنًا بعض مَلاحظ القدماء، الذين عرجوا على هذا الدرس، مستخدمين نظرَيْن من التفسير: أولهما: علمي، وثانيهما: اجتهادي، كانت نتيجته أن استطاع بعض منهم، ردّ الاختلاف في الرّسم إلى تنوّع اللهجات، فيما عزا أغلبهم هذا التنوّع إلى القراءات.

والحق أن هذا البحث، إذ يحاول تلمّس الأثر، بين تنوّع محدّدٍ من الرسم وتواصله بالدلالة، معتمدًا في ذلك على السياق اللغوي الذي تَرد فيه المفردة، والسياق المقامي، في رحاب النظرية الدلالية السياقية، أمّا ظاهرة الرسم القرآني بكافة فروعها، فلا يمكن للبحث الإحاطة بها، إذ إنّ هذه الظّاهرةَ أوسعُ من هذه الورقات بكثير.

هذه الورقات التي كتبتها ترفع اللثام عن شيء من الغموض في ظاهرة الرسم العثماني، وقد اتضح للباحث أن الرسم عمل بشري، لا علاقة مباشرة لِلْوَحي فيه، وهذه النتيجة لا تقدح في إعجاز القرآن الكريم، ولا تخدش بضاضته، وهذه النتيجة هي ما سوّغت خطَّ هذه الورقات التي نهضتْ على فصلين: نظري وتطبيقي، أمّا النظري، فقد تحدّث الباحث فيه عن :كتابة القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ، مرورًا بالجمع الأول في عهد أبي بكر ﷺ، وصولًا إلى الجمع الثاني في عهد عثمان ﷺ، حيث استقرَّ الرسم، واكتسب مرجعيته الأولى إلى اليوم.

وأمّا الفصل الثاني، فقد تتبع الباحث تنوّع الرّسم وتعدّده في الكلمة الواحدة، في مجموعة مصطفاة من الآيات الكريمة، تركّزت في موضوع واحد متعلق بالألف، سار في جانبين: أحدهما: إثبات الألف وحذفها، والآخر: التنوع في كتابتها.

مشكلة البحث:

تمثّلت مشكلة البحث، في تنوّع الصور الكتابية للمفردة الواحدة في القرآن الكريم، مما دعا كاتب الوحي إلى العدول عن القاعدة المتبّعة في الرسم ، وخروجه عليها، واتّباعه قاعدة كتابية خاصة به، وبما أن قضية الرسم وعلاقتها بقواعد الكتابة، قد تناولها جمعٌ غفير من العلماء، فقد حاول الباحث إيجاد مسوّغ لكاتب الوحي، في اختياره قاعدة كتابية خاصية، كان عِمادها الدلالة.

القسم الأول:

توثيق النص القرآني:

أولاً: في زمن النبي ﷺ

أنزل الله تعالى كتابه الكريم، على قلب رسوله الأمين: (نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥)[الشعراء]، مُفرّقًا؛ ليقرأه على الناس على مُكْثٍ،فاستقبلَه الرسول ﷺ أحسن استقبال، حفظًا وَوعيًا،وقد تكفّل الله بحفظه: (إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩)[الحِجر]، كما تكفّل بجمعه (إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧)[القيامة] ، وطوال فترة التنزيل التي استمرت ثلاثًا وعشرين سنة، كان القرآن الكريم عرْضة للنسخ والتعديل من الله تعالى [١]، وأمّا رسول الله ﷺ فظلَّ يبلّغ ما يتنزّل عليه من ربِّه للناس ،كما أراده قائلُه تبارك وتعالى، فيَتْلو ما ينزل عليه، على صحابته الكرام في صلاته، وخُطبه، وفي جلساته معهم.

وبما أنّ الدعوة في مكة المكرمة كان لها طابعها الخاص، فلم تظهر العناية الكتابية بالقرآن الكريم، كظهورها في المدينة المنورة [٢]، ولم يَرِدْ في أيّة رواية، أو نَصٍّ، أنه ﷺكان يكتب بنفسِه، ما ينزل عليه من القرآن، بل إنَّ الإجماعَ قائمٌ على أنه عَمَد إلى اتخاذ كُتّابٍ خاصّين (كتّاب

---

(١) لعلّ هذا هو السبب الرئيس في عدم كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد.

(٢) رغم وجود بعض الروايات التي تدلّ على انتشار بعض صحف القرآن بين المسلمين، كما ثبتَ أنّ عمر بن الخطاب قد أسلم، بعد أن قرأ آياتٍ من سورة طه مكتوبة في صحيفة ،انظر:الفالوذة، أبو إبراهيم، محمد إلياس(١٤٢٣هـ) ، **الموسوعة في صحيح السيرة النبوية** ،مطابع الصفا،مكة المكرمة، ط١، ص ٤٣٠

الوحي)[1]، وكان أول من كتب له في مكة المكرمة، عبدالله بن سعد بن أبي سرح[2]، ولمّا هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنوّرة، كان يحثّ صحابته الكرام على حفظ كتاب الله تعالى، وكتابته وينهاهم عن كتابة غيره؛ فانتشرت الصحف الخاصّة بينهم، كما انتشر حفظه في صدورهم، وكان الأحفظُ هو المُقدَّمُ عندَ رسول الله ﷺ، فيجعله إمامًا، وحاملاً للراية، بل كان المقدّم في الدّفن أيضًا، أمّا " كُتّاب الوحي"، فهُم الكتّابُ الرسميون للقرآن الكريم دون سواهم ، وكتابتهم هي الوحيدة المعتمدة، بعد إقراره ﷺ لها[3]؛نظرًا لأحوال النسخ والتعديل، التي يمرّ بها القرآن الكريم- كما مرّ سابقًا- وكانوا يحتفظون بما يكتبون ويراكمونه، كلاً على حدة، بناءً على ماكان يُمليه عليهم، فيكتبونه تحت إشرافه المباشر ومراقبته الدقيقة، على المواد والأدوات التي كانت تستعمل للكتابة في ذلك العصر، كالرِّقاع(قطع من الجلد)، والعُسُب(جريد النخل)، واللِّخاف(حجارة رقيقة بيضاء)، وعظام الأكتاف والأضلاع ونحْوها، ولا يُعقل أن يَترك النبيُّ ﷺ"القرآنَ

---

(١) روى عثمان بن عفان رضي الله عنه كيفية الكتابة في زمن النبي ﷺ، وبيّن أن النبي كان يوضّح مكان وضع الآية من السورة، ولم يذكر أنه كان يتدخّل في الهيئة الكتابية، قال: قال عثمان: كان رسول الله ﷺ،مما يأتي عليه الزمان ،وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعضَ مَن كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، انظر: الترمذي، محمد بن عيسى، ت٥٢٧٩،(١٩٩٨) **الجامع الكبير– سنن الترمذي**،تحقيق: بشار عواد معروف،منشورات: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ج٥ ص١٢٣

(٢) انظر: العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر ،(١٣٧٩ه) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، اعتنى به :محمد فؤاد عبد الباقي، ومحبِّ الدين الخطيب، وعليه تعليقات الشيخ: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، ط١، ج ٩ ص ٢٢

(٣) عن زيد بن ثابت ، قال : كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ...، فكنت أدخل عليه بقطعة الْقَتَب (خشب يوضع على ظهر البعير)، أو كسرة فأكتب وهو يُمْلِي عَلَيَّ ، ...، فإذا فرغتُ قال : اقْرَأْهُ، فإن كان فيه سَقْطٌ أَقَامَهُ ، ثُمَّ أَخْرَجُ به إلى الناس.انظر: الطبراني،أبو القاسم سليمان بن أحمد ،ت:٥٣٦٠ه،(١٩٨٣) **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،دار إحياء التراث العربي، ط٢،ج٥ ص ١٤٢

الكريم وما به من فرائض وشرائع،و هو حجتُه على أمَّتِه، وتقوم به دعوته، بغير عناية كتابية، ومن الروايات التي تشير إلى حرص النبي ﷺ ، على كتابة القرآن الكريم فور نزوله، ما رواه البراء بن عازب أنه قال: لمَّا نَزَلَتْ: (لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [النساء: ٩٥]، قال النبي ﷺ: «ادْعُ لِي زَيْدًا وَلْيَجِئْ باللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ وَالكَتِفِ - أو الكَتِفِ وَالدَّوَاةِ -» ثم قال: " اكتُبْ: (لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ) [النساء: ٩٥] " وَخَلْفَ ظَهْرِ النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعمى، قال: يا رسول الله فما تأمرني، فإني رجل ضرير البصر؟ فنزلت مكانها: (لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) [النساء: ٩٥][1] ، ويُستدَلّ من هذه الرواية، أن القرآن كان ينسخ بعضه فور نزوله أحيانًا تبعًا للموقف، ولم يرد فيها ولا في غيرها ، مما نُقل عن النبي ﷺ، أنه كان يُوضِّح كيفية الكتابة ولا صفتها، للكاتب الذي يُملي عليه، بل إن الكاتب، ليكتب من تلقاء نفسه بناءً على فهمه للآية، وَفق قواعد خاصة، ارتضاها الكَتَبَةُ لأنفسهم في تلك الفترة.

ومما هو متلازم مع ما سبق، يجب أن أشير إلى انتشار القراءات القرآنية، في زمن النبي ﷺ، وهي تبيّن كيفيّة نطق المفردة القرآنية، من فِيِّ رسول الله ﷺ، وأمّا ما لم يثبت عنه فلا يُؤخذ به، بل يُردّ، وهي(القراءات) مرتبطة بالأحرف السبعة، أو هي جزء منها، ومما يصلح للتأشير به على وجود القراءات ،أو الأحرف السبعة، الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب ﷺ- أنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام

---

(1) العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،ج ٩ ص ٢٣، حديث رقم ٤٩٩٠

[وكلاهما من قريش] يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فكدت أساورُه في الصلاة، فتَصَبَّرْتُ حتى سلّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بردائه، فقلت: مَنْ أقْرَأكَ هذه السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأ؟ قال: أقْرَأنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ، فقلتُ: كَذَبْتَ، فَإنَّ رسول الله ﷺقد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت بهِ أقُودُهُ إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فقال رسول الله ﷺ: «أرْسِلْهُ، اقْرَأ يَا هِشَامُ» فَقَرَأ عَلَيْهِ القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأ، فقال رسول الله ﷺ: «كَذَلِكَ أنْزِلَتْ»، ثُمَّ قالَ: «اقْرَأ يَا عُمَرُ» فَقَرَأتُ القِرَاءَةَ الَّتِي أقْرَأنِي، فقال رسولُ الله ﷺ: «كَذَلِكَ أنْزِلَتْ، إنَّ هَذَا القُرْآنَ أنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[1]، ولم يتضح من هذه الرواية كيفية القراءاة التي قرأ ها كلٌ منهما، وسبَّبتْ -فيما بعد- إشكالا كبيرًا عند العلماء في المقصود من الأحرف السبعة، فيما أوردت كتبُ الحديث عددًا وافرًا من مثل هذه الرواية، تبيّن اختلاف الصحابة في القراءة، في عهد رسول الله ﷺ، وذلك أنّ النبي ﷺ كان يعلّم أصحابَه، ما يتنزل عليه بالطريقة التي يتلقّاها من جبريل عليه السلام، ولم يكن الصحابة الكرام ذوي حظٍّ واحدٍ في الأخذ عنه ﷺ، تبعًا لطول فترة التنزيل، ولِتأخّر بعضهم في الإسلام، وظروف معيشتهم، وأماكن سكناهم، ما بين المدينة ومكة، والبادية[2]،... ما أدّى

---

(1) العسقلاني، ابن حجر ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج ٩ ص ٢٣-٢٤، حديث رقم ٤٩٩٢

(٢) أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوبُ النزولَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتهُ بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعلَ مثل ذلك، انظر:العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج١ ص ١٨٥، حديث رقم ٨٩

إلى تفرّق المسلمين في الأمصار، ينشرون ما عقلوه من رسول الله ﷺ، فصار الناس يتعلمون قراءة أحد الصحابة، ولا يسمعون قراءة ثانية من صحابي آخر.

ولم ينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، إلا والقرآن الكريم، قد كُتِبَ بين يديه كاملا، بكل دِقة وضَبْط.

ثانيًا: في زمن أبي بكر الصدّيق ﷺ :

أورد البخاري عدداً من الروايات التي تتحدث عن جمع القرآن، أشهرها -وربما أهمها على الإطلاق - رواية زيد بن ثابت ﷺ أشهر كتاب الوحي، وقد قال فيها: إنَّ أبا بكرٍ، أرسل إليه عقبَ موقعة اليمامة التي قُتِل فيها كثيرٌ من الصحابة القُرَّاء، وطلب منه أن يجمع الصحف، التي كُتِبَ فيها القرآن؛ مخافة أن يضيع منه شيء كثير، بسبب موت حُفَّاظه وقرَّائه، وقال له: "إنك رجل شابٌّ عاقل لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحيَ لرسول الله ﷺ، فتَتَبَّع القرآنَ فاْجمعْهُ". وأضافَ زيدٌ يقول: "فتتبعتُ القرآن أجمعُهُ من العُسُب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدتُ آخرَ سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري،لم أجدها مع أحدٍ غيره: (لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ) [التوبة:١٢٨]،حتى خاتمة "براءة". ثم أضاف: "فكانت الصحف (التي كتب فيها القرآن) عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر ﷺ [1] .

([1]) انظر: العسقلاني، ابن حجر ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج ٩ ص ١١، حديث رقم ٤٩٨٦

وكانت المنهجيّة المُتّبعة في كتابة الصحف- كما تذكر الروايات- أن أبأ بكرٍ قال لِعمرَ بن الخطاب، ولزيد بن ثابت ﷺ: "اقْعُدُوا على باب المسجد، فمن جاءكما بشَاهِدَيْن على شيء من كتاب الله، فاكتباهُ"[1] ،أي أنّ شرط الأخذِ وجودُ شاهدَيْن على أنه من القرآن، مما سُمِع من رسول الله ﷺ مباشرة، بناءً على ما ثبت في العَرضَة الأخيرة، ويؤيد المحفوظ شاهدٌ كتابيّ، وهذا ما يتّضح من قول زيدٍ: "أجمعُهُ من العُسُب واللخاف وصدور الرجال" ، وأنبّه هنا إلى أن بعضًا من الصحابة الكرام، قد أبقى لنفسه شيئًا مما سمعه من رسول اللهﷺ ، واحتفظ به، كعبد الله بن مسعود أمير الكوفة، بيد أن اللافت للأمر، أنّ أبا بكرٍ ﷺلم يتخذ قرارًا بشأن الصحف الخاصّة، التي كانت عند صحابة رسول الله ﷺ ، فأبقاها معهم وأقرّهم عليها، ويبدو أنهم ظلوا يقرؤون بها، ويعلمونها أهل البلاد التي يقيمون فيها، وتذكر الروايات، عن أمير البصرة أبي موسى الأشعري- وهو صاحب قراءة- وأمير الكوفة عبد الله بن مسعود، ما يؤكد ذلك[2].

ثالثًا: في عهد عثمان

استمرَّ الناس إلى عهد عثمان -ﷺ - على ما هُم عليه ، في قراءة القرآن من صحفهم الخاصة بهم، وكان النقص يعتري أغلبَهاحسب حظّ صاحبها في الأخذ عن رسول الله- ﷺ وذاعت وانتشرت في الأمصار،

---

(1) ابن أبي داوود، أبو بكر ، عبد الله بن سليمان، ت: ٣١٦هـ،(١٤٢٣م)**كتاب المصاحف**،تحقيق: محمد عبده، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ص ٥١

(2) انظر:ابن أبي داوود،**كتاب المصاحف**، ص ٧٢

وباتت تُعرف بأسماء أصحابها، كمصحف أُبَيّ بن كعب[1]، ومصحف عبدالله بن مسعود، ...، وتشير الروايات أنَّ الخلاف قد ذاع في أمر القراءات وانتشر، بدءًا من الصبيان و المعلمين، في المدينة المنورة، مرورًا بالأمصار،وانتهاء بالثغور[2]، حينما التقى جيش الشام وجيش العراق في أرمينية، فخَطَّأ كلُّ جيشٍ الآخرَ في قراءته، وعظُم الخلاف بينهما، الأمر الذي أفزع الخليفة نفسَه ، فجمع الصحابة رضوان الله عليهم، واجتمع له اثنا عشر ألفًا منهم[3]، فأخبرهم بالخلاف الذي أخذ يتغلغل في المسلمين في القراءة، وأخبرهم بما هو صانع، في جمعِهم على مصحف واحد، فأقرّوه على هذا ولم يُنكر عليه أحد[4]، فأرسل إلى أمِّ المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- يطلب الصُّحفَ التي كُتبت في عهد أبي بكر يستنسخها، فأرسلتها إليه، كما أرسل عثمانُ إلى زيد بن ثابت(الأنصاري)، وسعيد بن العاص(الأموي)، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام(الأسدي)، وعبد الله بن الزبير(المخزومي) (وكلهم ما عدا الأول مِن بطون قريش)، أن انسخوا الصحف في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن،

---

(1) انتشرت قراءته عند أكثر أهل الشام، انظر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج ٩ ص ١٨، بينما انتشرت قراءة المقداد بن الأسود في دمشق وحمص.

(2) انظر: العسقلاني،ابن حجر ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٩ ص ١٦، حديث رقم ٤٩٨٧

(٣) انظر: الكردي، محمد طاهر، ت ١٤٠٠ه، (١٣٦٥ه) **تاريخ القرآن الكريم**، مطبعة الفتح، جدّه، ط١، ص ١٠٦

(4) تشير بعض الروايات أن عبد الله بن مسعود، كان يرفض هذا العمل، ويروى عنه أنه قال: إِنِّي غَالٌّ مُصْحَفِي، فمن استطاع أن يغل مصحفا فَلْيَغْلُلْ، فإنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوم ٱلْقِيَٰمَةِۚ ﴾[آل عمران:١٦١]، ولقد أَخَذْتُ مِنْ فِيِّ رسول الله ﷺ سبعين سورَةً، وَإِنَّ زَيْدَ بْنَ ثابتٍ لَصَبِيٌّ مِنَ الصبيان، أفأنا أَدَعُ ما أَخَذْتُ مِنْ فِيِّ رسولﷺ. وهذه الرواية تبيّن أن ما تلقاه هذا الصحابي الجليل سبعين سورة فقط، انظر: ابن أبي داوود، **المصاحف**، ص ٧٦؛ وفي البخاري " بضعًا وسبعين سورة"، ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٩ ص ٤٨

فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف[1]، بعثَ عثمانُ ﷺ إلى كل أفق مصحفًا من تلك المصاحف التي نسخوا[2] ، وهذه الرواية تؤكد أن ما فعله عثمان ﷺ ، نسْخٌ لمصحف أبي بكرﷺ، لكنَّ الخليفة اتخذ قرارًا مهمًا قطعًا للخلاف، حيث أمر بإحراق كل نسخة، من المصاحف الخاصة المنتشرة بين الناس، أو تمزيقها، وعُرف هذا النسخ باسم الرسم العثمانيّ، نسبة إلى الخليفة عثمان ﷺ.

أمّا المنهج الكتابي الذي اتَّبعه عثمان ﷺ في رسم المصاحف كما تُبيّنه الروايات، عن هانئ البربري - مولى عثمان- قال: كنت عند عثمان وهُم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكَتِفِ شاةٍ إلى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فيها "لَمْ يَتَسَنَّ" ، وَفيها "لَا تَبْدِيلَ لِلْخَلْقِ" ، وَفيها "فَأَمْهِلِ الْكَافِرِينَ" . قالَ: فَدَعَا بالدَّوَاةِ، فَمَحَا إِحْدَى اللَّامَيْنِ، وكتبَ: (لِخَلْقِ اللَّهِ) [الروم: ٣٠]، وَمَحَا: "فَأَمْهِلِ"، وَكتَبَ: (فَمَهِّلِ) [الطارق: ١٧]، وكتَبَ: (لَمْ يَتَسَنَّهْ) [البقرة: ٢٥٩] أَلْحَقَ فِيهَا الْهَاءَ [3]".

بعد كل هذا المقدم يتضح للباحث، أن الرسول ﷺ بلّغ القرآنَ بالوجوه التي أسمعَه إياها جبريل، وسجلّها كتّابُ الوحي كما أملاها عليهم، ولم يثبت أنه كتب بنفسه، أو بَيّن لِكاتبٍ من الكتَبَة كيفية كتابة آية،

---

(1) انظر: العسقلاني، ابن حجر ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج ٩ ص ١٦، حديث رقم ٤٩٨٧

(2) انظر: ابن أبي داوود، **المصاحف**، ص ٨٨

(3) انظر: المؤلف: ابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم ،ت: ٢٢٤هـ،(١٤١٥هـ) **فضائل القرآن**،تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين،دار ابن كثير (دمشق - بيروت)،ط١،ص ٢٨٦-٢٨٧

أو كلمة من كلمات القرآن الكريم([1])، بل إن الكتابة كانت من فعل الصحابة أنفسِهم، بأكثر من دليل ، منها قول عثمان للكتبة :إذا اختلفتم أنتم وزيد ... فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، فكيف يعقل أن يحصل خلاف لو كانت الكتابة وحيًا؟ ثم إن عثمان ﷺ لمّا بلَغَه أنهم اختلفوا في كتابة " التابوت" أهي "التابوه" أم التابوت"، قال اكتبوه "التابوت"[2] ، وهذا يؤكد أن الكتابة ليست من الوحي، بل من فعل الصحابة الكرام، فلو كان الرسم توقيفيًا بإملاء النبي ﷺ بالكيفية التى ذكرناها، لَقالَ لهم زيد: إن النبي ﷺ أمرني بكتابتها بالتاء، أولَقال عثمانُ لِزيدٍ كاتبِ الوحي: اكتبها بالكيفية التى أملاكَ بها رسولُ الله ﷺ.

ويحقّ التساؤل هنا، لماذا لمْ يكتبِ الصحابةُ المصحفَ على قواعد الكتابة المعتادة؟ ولماذا لم يسيروا في كتابته على وتيرة واحدة؟ وهل يمكن القول :إنّ رسم المصحف سِرّ من الاسرار التي لم يطَّلع عليه أحد، ومات هذا السرّ مع الصحابة، وأنّ خطه معجز كلفظه المقروء؟

ويجب التنبيه على أن السهو أو الخطأ، في كتابة كلام الله تعالى يستحيل وقوعه، ولا يخطرنَّ ببَال أحدٍ ، أنّ كتَّاب الوحي ما كانوا يعرفون أصول الكتابة؛ فلذلك اضطربوا في رسم المصحف، فإن هذا وَهْمٌ باطل، وإن المتتبع البصير لكتابة الآي الحكيم، يدرك تمامًا أن الكتابة، كانت تسير

([1]) تذكر بعض الكتب حديثًا موضوعًا على رسول الله ﷺ تبيّن فيه بعضًا من التوجيهات لكاتب الوحي ، منها أنه كان النبي ﷺ إذا دعا رجلا إلى الكتابة يقول: أَلْقِ الدّواة وحرف القلم وجوّد "بسم الله الرحمن الرحيم"، أقم "الباء" وفرج "السين" وافتح "الميم" وحسّن "الله" وجوّد "الرحمن الرحيم". انظر: العسقلاني،ابن حجر،(٢٠٠٢) **لسان الميزان**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ج ٧ ص ١٣٨، رقم ٦٧٨٨ ، وقال معلّقًا :" حديث باطل".

([2])انظر: العسقلاني،ابن حجر ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٩ ص ٢٠

في إطار علمي دقيق، ولو كان الخطأ أو الجهل، فاشيًا بينهم؛ لتعددت الوجوه الكتابية لكل كلمة،واضطربت، ولكنّ تفرّد الكتابة في كلمة محدَّدة خالفَ ما تمّ اتباعه، يدل على أن المخالفة في رسمها مقصودةٌ لذاتها.

ويؤكد هذا المعنى أنّ الفقهاء، قد وقفوا من الرسم العثماني ثلاثة مواقف[1]،الأول: أنه توقيفي لا تجوز مخالفته. وذلك مذهب الجمهور، و الثاني:أنه رسم اصطلاحي، لا توقيفي؛ وعليه فتجوز مخالفته، و الثالث: تجوز مخالفته، بل تجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس، على الاصطلاحات. وهذه الاختلافات تؤكد أن الرسم ليس وحيًا، إذ لو كان وحيًا لما وجِد إلا قول واحد.

(١) انظر : الزرقاني، محمد عبد العظيم،(١٤١٥هـ) **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي،دار الكتاب العربي،بيروت

ط ١، ج١ ص ٣١٠، ٣١٢، ٣١٥؛ انظر: الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد،(ت: ٤٤٤هـ)،(دت)**المقنع في رسم مصاحف الأمصار**،تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،(د ط)، ص ١٩

القسم الثاني:

حذف حرف يستحق الإثبات:

١. ســـــعوا و ســـــعو (وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١)[الحج:٥١](وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ سبأ:٥] لا يمكن أن يخفى على ذي نظر، أن الآيتين ذواتا تركيب لغوي واحد، لكنهما افترقا في أمرين: الأول: افتراق يسير في الرسم القرآني[١]، في كلمتي(سعوا، و سعو)، والثاني: افتراق في العقوبة، وقد اتفق شيوخ النقل على إثبات الألف بعد واو الجمع، إلا في أربعة مواضع منها (سعو) في سبأ[٢]، والناظر في كتب التفسير يدرك أن أغلب المفسرين، لم يفرّقوا في دلالة السعي بين الآيتين[٣]، واكتفى بعضهم بالإشارة إلى الفرق في الرسم دون تعليل.

---

(١) أبو داود، سليمان بن نجاح ،ت: ٤٩٦هـــ،(١٤٢٣هـــ) **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**،منشورات مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة، ط١، ج٤ ص ١٠٠٩

٢) انظر: الداني، أبو عمرو ، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، ٣٤-٣٥؛ المارغني، أبو أسحاق،إبراهيم بن أحمد، ت ١٣٤٩ه،(د.ت) **دليل الحيران على موارد الظمآن**، دار الحديث، القاهرة، ص ٢٧٤

٣) انظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت: ٢٧٦هـــ،(د.ت) **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ط)، ص ٢٧٥ ؛ ابن سلام، يحيى بن أبي ثعلبة، ت: ٢٠٠هـــ،(ط: ١٩٧٩ م،) **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، قدمت له وحققته: هند شلبي،الشركة التونسية للتوزيع، ص ٣٢٤؛ النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد ت: ٣٣٨هـــ،(١٤٠٩ه) **معاني القرآن**،تحقيق: محمد علي الصابوني، منشورات: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط: ١، ، ج٤،ص ٤٢٥، ج٥، ص٣٩٣

ويحق للباحث أن يتساءل فيما إذا كان المعنى المثبَت تحت الرسم الأول، هو المعنى ذاتُه المثبَت تحت الرسم الثاني؟ عِلمًا أنَّ القاعدة الإملائية تنصّ على أنْ: تُزاد الالف بَعدَ واو فِعل جَمع، نحو كتبوا واكتبوا ولم يكتبوا،وتنبني على هذا التساؤل إلماحة، تبيّن مدى دراية كَتَبَة الوحي بما يكتبون ؟ ولا يمكن أن يتجلّى ما هو مطلوب، دون استرفاد الآيات السابقة، واللاحقة لهاتين الآيتين الكريمتين؛ ليكونَ هذا مدخلاً، يتأسّس عليه تلمّسُ أوجه الاتّفاق والافتراق بين الآيتين، وما يمكن للمرء أن يستشرفه من هذه الآيات.

<u>في رحاب مادّة "سعى":</u>

السَّعْيُ: عَدْوٌ ليس بشديد، وكلُّ عملٍ من خيرٍ أو شَرٍّ فهو السَّعْيُ[1] ، ويكاد التفصيل يكثر وضوحًا في ذكر أنماط من السعي، فيقال: سعى إذا مَشى، وسعى إذا عدا، وسعى إذا عمل، وسعى إذا قصد[2]، وأكّد هذا المعنى الراغب مع انحراف بسيط في الدلالة في أنَّ السَّعْيَ: المشيُ السّريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدّ في الأمر[3].

---

[1]) الفراهيدي، الخليل بن أحمد،ت ١٧٠هـ، "**العين**" ،تحقيق: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٢ص٢٠٢

[2]) الأزهري، أبو منصور محمد ، ت: ٣٧٠هـ،(٢٠٠١م) "**تهذيب اللغة**"، تحقيق:محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، ج٣، ص ٨٥

[3]) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت: ٥٠٢هـ،(١٤١٢ هـ) "**المفردات في غريب القرآن**"، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق- بيروت، ط١، ص ٤١١

وقد تعددت آراء المفسرين في دلالة السعي وحقيقته، في قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ ﴾ فمنهم من رأى أن الآية خاصة بمشركي مكة[1]، الذين بذلوا جهدهم في إبطال آياتنا، محاولين تعويق المؤْمنين في تأييدها [2]، ويذكر الرازي أن مشركي مكة اجْتَهَدوا في رَدِّها، والتَّكذيب بها، وبلغوا في بذل الجُهْدِ النِّهاية، كما إذا بلغ الماشي نهاية طاقته فيقال له سَعَى، [3] ، وعلى هذا يكون كون الساعي ساعيًا بالباطل في غاية الظهور[4]، وذهب الزمخشريّ إلى أنهم سعوا بالفساد من الطعن فيها ، حيث سمّوها : سِحْراً وشِعْراً وأساطير ، ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين في زعمهم[5]، فيما يرى الجرجاني أن السعي كان محدَّدًا بالتكذيب أو التحريف والتبديل[6]، و يبين ابن عاشور أن الكلام تمثيل، شُبِّهت هيئة تفنّنهم في التكذيب بالقرآن، وتطلّب المعاذير لِنقض دلائله من قولهم: هو سحر، وهو شعر، وهو أساطير الأولين، وهو قول مجنون،

---

[1]) مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير، ت: ١٥٠ه، (١٤٢٣هـ)**تفسير مقاتل بن سليمان**،تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث ، بيروت، ط، ١،ج ٣ ص١٣١ -١٣٢؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ،ت: ٣١٠هـ،(١٤٢٠هـ)**جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق:أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة، ط،١،ج١٨ص٦٦٠

[2]) مجموعة من العلماء، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،(١٤١٤ هـ) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، منشورات: المطابع الأميرية، القاهرة، ط ١، ج ٦ص ١٢٣٤

٣) انظر: الرازي، فخر الدين،أبو عبد الله محمد بن عمر، ت: ٦٠٦هـ،(١٤٢٠هـ) "**مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**"،دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط ٣،ج٢٣ص ٢٣٥

[4]) الرازي، "**مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**"،ج ٢٥ص ١٩٣

٥) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر ،(١٤٠٧ه) "**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط٣، ج٣ص ١٦٥

[6]) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت: ٤٧١هـ، (١٤٣٠ هـ)**دَرْجُ الدُّرر في تَفسير الآي والسُّوَر**، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان و محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر - عَمَّان،ط، ١، ج ٢ص٣٤١

وتعرضهم بالمجادلات، والمناقضات، للنبيء ﷺ، بهيئة الساعي في طريق يسابق غيره؛ ليفوز بالوصول[1].

ومستصفى القول الذي بإمكان الباحث أن يطمئن إليه، أنَّ السعي متعدد المشارب و الوجوه، وليس له شكل واحد، فهو متفاوت من شخص لآخر جهدًا وكيفية، ولكنه جهد واضح لا خفاء فيه، ولا يمكن إنكاره، ورغبة في القبض على الباعث، الذي جعل الرسم متباينًا بين الآيتين، يسترفد الباحثُ الآيات السابقة، لكلٍّ من آيتي الحج وسبأ.

أولًا: سورة الحج:

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠﴾

أي: يقوم هؤلاء الناس بتثبيط غَيْرهمْ عَنِ التَّصْدِيق باللَّه، والإيمان بنبوة رسوله الكريم – ﷺ-، فسعيهم كبير في أنهم نذروا أنفسهم، في منع الناس من الدخول في دين الله تعالى[2]، ... وكانوا حريصين أشد الحرص على منع الناس من الدخول في الإسلام، كما كانوا يحاربون المسلمين، بأقسى أنواع الحروب وأخسّها.

هبّت قريش تراقب وتتحسّس وتطوف، وتتأهب؛ للسطو على الفئة الجديدة، باغية عليها، لا يفارقها شعورها الجديد بلذّة القوّة والبطش والضراوة، وحُبّ الغلبّة، وبسْط السلطان،وبدأ الصراع: دَسًّا بأسباب

---

١) انظر:ابن عاشور، محمد الطاهر، ت:١٣٩٣ه،(ط:١٩٨٤) **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**،الدار التونسية للنشر ،تونس،ج١٧ص٢٩٥

٢) الرازي، فخر الدين، "**مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**"،ج ٢٣ص ٢٣٥

التجارة، وجَسَّا بأطراف الأسِنّة، وانتُهكتِ الأعراض، وعُذّبتِ الأجساد، ومُزِّقتِ الأكباد ، وشيئًا فشيئًا، جاءت الجيوش؛ فقطرت الدماء وسالت، وكانت قصة طويلة، مُلئت غدرًا وخيانة، ورشحت مَكْرًا وخُبْثًا، وخِسّة وفظاظة، طوال تسع عشرة سنة،لا كَلل فيها ولا مَلل، أدركت قريش فيها أن أخطر ميادين هذه الحرب الخسيسة، هو ميدان الفكر والكلمة؛ لأنه سلاح ناسفٌ لِقوىً تجمعّت، أو في طريقها إلى التّجمّع، فآن لها أن توجِّه مفكريها، إلى النَّيْل من القرآن الكريم، وإلهاء الناس عنه، وجرّهم إلى قضايا فكريةٍ ثانوية، تبعدهم عن القضية المركزية، "الدعوة إلى الأيمان بالله تعالى وتوحيده"، وطال السعي أمدُه، إلى أن جاء صلحُ الحديبية، فوضعت الحرب أوزارهابين الفريقين عشر سنوات، فتوقف السعي وخمد لهيبه، أو كاد.

يخلص الباحث إلى أن السعي في آية الحج سعيٌ قرشيّ بامتياز،ظهرت ملامحه وأماراته، طوال سِنيِّ الدعوة، وكان ظاهرًا قويّا جليًّا لِلعيان، فناسبه كتابة " سعوا" بالألف الظاهرة، كظهور سعيهم، وتمييزه عن سعي غيرهم.

ويؤكد هذا المعنى أن الآية الثانية، تحدثت عن جزاء من يؤمن بالله تعالى، ويعمل الصالحات من الأعمال، فقد وعده الله بالمغفرة والرزق الكريم، وجزاء من سعى في آيات الله معاجزًا ، أن يكون من أصحاب الجحيم.

ثانيًا: سورة سبأ

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ٥ ﴾

تتمحور هذه الآيات حول فكرة مركزية "إنكار قيام الساعة"، وفكرة ثانوية تابعة للفكرة المركزية" السعي في آيات الله بالتعجيز"، وأصحاب الفكرتين من الكافرين والمشركين، ونلحظ في القسم الثاني من الآيات حديثا عن الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات، فجزاهم مغفرة ورزقًا كريمًا، أمّا "الّذينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ" فكان عقابهم متعلقًا بلفظة صالحة للتبعيض، وكل ذلك إشارة إلى سعة الرحمة، وقلّة الغضب بالنسبة إليها، وإن قيل: إن الرِّجز أسوأ العذاب، وعلى هذا فإنّ (مِنْ)، لِبيان الجنس كقول القائل: خَاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ[1]، ولعلّ المقابلة بين الثواب والعقاب فيها إبراز للعمل بين الفريقين.

ويستنتج مما سبق أنّ الخطاب متعلق بالكفار عامّة، الذين ينكرون قيام الساعة، لكنهم حين بلغوا هذا المبلغ من الإنكار لم يلبثوا طويلا ،حتى ظهر سعيهم في محاربة المسلمين؛ دفاعًا عن أفكارهم وعقائدهم، لكنّ هذا السعي ليس هدفهم الأساس، رغم أنهم قد يفكرون

[1]) انظر: الرازي، فخر الدين، "**مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**"، ج ٢٣ ص ٢٣٥

بالتآمر والخيانة، إلى أنْ تتهيأ الظروفُ، وتمهّد الطريقَ قوىً خفيّة من وراء ستار، تدعم السعي وتسنده، إلى أن تتاح له فرصة الظهور، كل هذا لا بدّ أن يكون منسجمًا مع الكافر، وعمله، ومكانه الذي يعيش فيه.

وقد نلمح السعيَ من شخصٍ ليس له نفوذ أو سلطة، أو من طائفة أو من طوائف لكل منها صِفة وَوسْم تمشي به بين الناس، ينبثّون في كل ناحية، ويعملون في كل ميدان، وينفثون سمومهم في كل مكان، لا يدركها إلا الخبير بهم، والعالم بأحوالهم، فيكشف مقصودهم ، ويبيّن مسعاهم، لكنهم -كما قيل سابقًا- هدفه الأساس إنكار قيام الساعة.

إن اختلاف الناس في الآيتين جَلِيّ واضح، وكذا سعيهم ، ففي سورة سبأ، يغلب عليه الخفاء والسّرّيّة، أو الضعف والاضمحلال وعدم الإحكام، ولا يحتاج هذا السعي إلى جهدٍ أو وقت كبيرَيْن؛ لأنه ليس مقصودًا في ذاته، كما هو مقصود في سورة الحج، الّذي اتَّسم بالعنف والشِّدَّة، وطول المدة الزمنية؛ ولذا كان العقاب مختلفًا أيضًا، وبما أن السعي مختلف، فقد ترتب على ذلك اختلاف الرسم، وليس كما يرى بعض الباحثين والمفسرين، من أن السعي في سبأ سعي بالباطل (ملكوتي)، لا يصحّ له ثبوت في الوجود، من حيث هم معاجزون، فسعيهم باطل في الوجود[1]؛ لأن السعي – كما يرى الباحث - في السورتين (الحج و سبأ) باطل ، فإذا كان باطلاً في سبأ ، وسقطت الألف من الكتابة، فهل هذا يقتضي ألاّ يكون السعي باطلا في الحج لعدم سقوط الألف؟

---

[1]) المرّاكشي، أبو العباس، أحمد بن البنّاء، ت ١٣٢٦هـ، **عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص٥٩

٢. **السماوات:**

وردت كلمة (السَّمَٰوَٰتِ) في كتاب الله تعالى ثمانين ومئة مرّة، اتخذ الرسم الإملائي فيها وجهين، أحدهما بغير ألف بعد الواو، وجاء بهذا الرسم تسعًا وثمانين ومئة مرّة ، ولم يأتِ الحديث عن السموات بصيغة واحدة،بل تنوع الحديث فيها، فمنها ما تحدّث عن السموات السبع بلفظ" سبع سموات" وهي ثلاث آيات فقط ، هي قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩)[البقرة:٢٩]

وقوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢)[الطلاق:١٢]

وقوله تعالى : (أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥)[نوح:١٥]

أمّا الآيات المتبقية ، فلم تذكر عبارة" سبع سماوات" كما في قوله تعالى: (أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧)[البقرة:١٠٧]

و قوله تعالى: (قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩)[آل عمران:٢٩]

والوجه الثاني : فقد رسمت الكلمة بالألف بعد الواو ، وجاء مرة واحدة فقط، (سموات) وذلك في قوله سبحانه وتعالى: (فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢)[فُصِّلت:١٢]

وأشار علماء الرسم إلى ذلك، فقد حذفوا الألف بعد الواو في قوله " السموت " و " سموت " في جميع القرآن، إلا في موضع واحد، فإن الألف مرسومة فيه، وهو قوله في سورة "فُصِّلت"سبع سموات"[1] فأما الألف التي بعد الميم فمحذوفة في كل موضع بلا خلاف[2].

إن المتأمل في الآيات في قوله تعالى: (فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ) وقوله في سورة الطلاق : (ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ) وقوله في سورة نوح : (أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا) يدرك تمامًا مدى التقارب مع قوله تعالى في سورة فصّلت: (فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ) ويبدو جليّا، أن الآيات تكررت فيها الصيغة" سبع سموات" ، ولكن التغيير وقع في في اللفظ السابق لصيغة" سبع سماوات"، ففي سورة البقرة ذكر "فسواهن"، وفي سورتي:نوح والطلاق ذكر" خلق" ، وجاءت صيغة" فقضاهن" في فصّلت،والأخيرة هي التي جاء الرسم فيها مختلفًا، فلماذا تعدد الرسم وتنوّع؟ وهل لدلالة الألفاظ (قضى وخلق وسوّى) علاقة بهذا التغيير؟

---

(١) انظر:أبو داود، **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، ج٥ ص ١٤٩١؛ انظر: العقيلي، **مرسوم خط المصحف**، ص ٨٢

(٢) انظر:الداني، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار** ، ص ٢٧؛ المارغني، **دليل الحيران على موارد الظمآن**، ص ٧٧

وأملاً في الإجابة، يذكر الباحث بعضًا من أقوال المفسرين الذين تناولوا هذه المسألة.

إنّ القرآن الكريم في سورة فصّلت يتعرض لقضية كبرى، هي قضية خلق السماوات والأرض، وترتيب هذا الخلق ومدته، وتقدير الأقوات في الأرض؛ لذا فإن القضية مهمة جداً، وتحتاج إلى تدبّر وتفكّر، وعليه فقد جاءت كلمة (سموات) بالرسم غير العادي [١]، ولِتلفت النظر إلى تفصيلات خلق السموات والأرض؛ وعليه فقد جاءت الألف فاصلة للسموات محدّدة لها؛ ولأنه لكل سماء أمرها الخاص بها[٢]، ومع هذا التوجيه ينبغي النظر في دلالة الألفاظ: سوّى، وقضى، وخلق، وجعل.

أولاً: قضى: تعدّدت آراء العلماء في القضاء، فمنهم من ربطه بالقدر، حتى غدا المصطلحان متلازمين لا ينفصلان عن بعضهما، وعدّهما آخرون من المترادف، وصِنْف ثالث لم يفرّق بين المصطلحين، فما يدلّ عليه أحدهما يدلّ عليه الآخر، وفيما يلي تفصيل ما سبق.

القضاء من المنظور اللغوي، كما يرى ابن فارس أن القاف والضاد والحرف المعتل، يَدُلُّ عَلَى إحْكَامِ أمْرٍ وَإتْقَانِهِ وَإنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ[٣]،ويقرب من هذا المعنى عند أبي هلال العسكري الذي يرى أن القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام من قوْلك قضَاهُ إذا أتمه وَقطع عمله [٤]، ويدلّ القضاء

---

(١) انظر: الشحود، علي نايف،(د.ت) **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم** ، د.ط، د. م، ص: ٥

(٢) انظر: شلول، محمد، **إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة**، ص ١١٤

(٣) فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء ، ت: ٣٩٥هـ، (١٣٩٩هـ) **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات: دار الفكر، ج٥ ص ٩٩

(٤) العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، ص ١٩٠

على وجود جميع الموجودات مجتمعة في اللوح المحفوظ[1] ، ويرى أكثر أئمة اللغة أن القضاء إتمامُ الشيء قولاً وفِعلاً [2]، بينما نجد القضاء عند بعض الأصوليين بمعنى الخَلق، والقَدَر هو التقدير، وهما متلازمان (القضاء والقَدَر) لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء[3]، ويرى آخرون أن القضاء هو العلم السابق، الذي حكم الله به في الأزل[4]، أمّا من رأى القضاء والقدر بمعنى واحد، فقد قالوا: إن القضاء والقدر هو النظام المتقن الذي وضعه الله لهذا الكون:علويّه وسفليّه، والقوانين العامّة والسّنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها[5]، وهذا المعنى هو الذي وردت به الكثير من الآيات القرآنية، ونختم من هذا أن القضاء هو الحكم، والقاضي هو الحاكم الذي يحكم وَفق قانون مسبق، أي أن القضاء قبل وجود الفعل بدليل كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)[البقرة:١١٧]، وقوله تعالى: (قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ

---

(١) انظر: الجرجاني، علي بن محمد، ت ٨١٦ه(١٤٠٣ه) **التعريفات**، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص ١٧٤

(٢) الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني ،ت ١٠٩٤ه،(د.ت) **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة ، بيروت، د.ط، ص ٧٠٥

(٣) جبريل، حياة بن محمد، **الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة**، منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية،الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ج ١، ص ٤٩٤

(٤) جبريل، حياة بن محمد، **الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة**، ج ١، ص ٤٩٤

(٥) الشيخ، ناصر بن علي، (١٤١٥هـ)**مباحث العقيدة في سورة الزّمَر**، مكتبة الرشد، الرياض السعودية،ط١، ص٤٩٥

كُن فَيَكُونُ ٤٧)[آل عمران:٤٧] والآية واضحة في أن الحوار قد دار قبل أن يتم الحمل.

اللفظ الثاني: الخَلق:

الخَلْق: إيجَاد الشَّيْء على تَقْدِير، أي مُشْتَمِلًا على تعْيين قدر، كَانَ ذَلِك التَّعْيين قبل ذَلِك الإيجاد، ومشتملا على اسْتِوَاء الْمُوجب للمعين فِي الْقدر[١]، فَكَمَا يَجْعَل الْفِعْل مُسَاويا للمقياس، يَجْعَل الْخَالِق مُسَاويا لما قدّره فِي علمه، وَلَا يُخَالف الْمُوجب الْمُقدر فِي الْعلم، كخلق الْإِنْسَان من مواد مَخْصُوصَة، وصور وأشكال مُعينَة، وَقد يُطلق لمُجَرّد الإيجاد من غير نظر إلَى وَجه الِاشْتِقَاق[٢].فالخلق في كلام العرب على ضربين، أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر: التقدير[٣]، وخَلَقَ الله الشَّيْء: أحدثه بعد أن لم يكن [٤]، وقد تعدد ذكر لفظ " خلق" ومشتقاته في القرآن الكريم، وتعلق بخلق السموات والأرض كثيرا، كما ذكر اللفظ متعلقًا بخلق الإنسان أيضًا، وخلق الله تعالى، ولمّا ذكر لفظ الخلق مع السموات حذفت الألف بعد الواو؛ وذلك لأن الخلق بحاجة إلى تسوية، وكأنه ما يزال غير مكتمل لما أراده الله تعالى، فأعقب الله تعالى ذكر "خلق" ب"سوّى"كما في قوله تعالى: (ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧)[الانفطار:٧]، وقوله

(١) الكفوي،**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ، ص ٤٣٠

(٢) الكفوي،**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ص ٤٣٠

(٣) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٧ ص ١٦

(٤) ابن سيده، أبو الحسن، علي بن إسماعيل ،ت: ٤٥٨هـ،(١٤٢١ه) **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٤ ص ٥٣٥

تعالى: (ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢)[الأعلى:٢]،أي أن التسوية جزء أساس من الخلق، أو تابع له، وكأنه مرحلة من مراحل الخلق، لأن التسوية :تقويم الشيء وإتقان الخلق(١)، كما أنها تجعل الشيء معدَّلا مقوّمًا (٢) ، وبما أن التسوية مرحلة من مراحل الخلق، أو هي مرحلة تالية للخلق، فإنها لا تدل على الكمال، وبناء عليه جاءت السموات بغير ألف بعد الواو، والناظر في آيات سورة فصلت يجد أنها تناولت ثلاثة مصطلحات هي : خلق، وجعل، وقضى، وقد سبق الحديث عن اثنين وبقي الثالث، وسأتكلم عنه بإيجاز، فالجعل تَغْيير بإيجاد الْأثر فِيهِ بغَيْر ذَلِك، ألا ترى أنَّك تَقول: جَعل الطينَ خزفًا، وَجعل السَّاكِن متحركًا، وَتقول: عمل الطين خزفًا، وَلَا تَقول عمل السَّاكِن متحركًا؛ لِأن الْحَرَكَة ليست بأثر يُؤثر بهِ فِي الشَّيْء(٣)،أي أن الجعل تغيير في الهيئة أو الشكل، ويمكن ترتيب المصطلحات، وَفق الآيات في سورة فصّلت؛ لتتضح المسألة، قال تعالى: (فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ١٢)[فُصِّلَت] ، ويتضح من الآيات أنّ الأحداث مرت كما يلي: خلق الله تعالى الأرضَ ، وجعل فيها رواسيَ، وبارك فيها، وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام، أي أن الخلق والجعل والتقدير كان في أربعة أيام، وذكر الله أن الخلق كان في يومين، وهو داخل في التقدير، ولا يجوز

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٩ ص ٣٤١

(٢) انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٩ ص ٣٦٨

(٣) العسكري، **الفروق اللغوية**، ص ١٣٦

فصل الخلق في يومين، وتقدير الأقوات في يومين آخرين؛ لأن التقدير من اليوم الأول للخلق، فهو عام والخلق يدخل فيه، وقضى أمر السماء بتفاصيلها الدقيقة في يومين، إذ أوحى لكل سماء أمرها الخاص، وكأن كل سماء منفصلة عن الأخرىمستقلة عن غيرها، ولمّا ذكر هذا التفصيل في خلق السماوات والأرض وخشية الالتباس بين أيام خلق الأرض، وما قضاه الله من أمر السماوات في يومين، فقد يظن ظان أن مجموع الأيام ثمانية، بناء على ما ذكرته الآيات،ولكن الله ذكر أربعة أيام؛ لتشمل الخلق وما تبعه من الرواسي وتقدير الأقوات و...، وهذه التفاصيل متعلقة بالأرض، ثم غاير الفعل فيما يتعلق بالسموات فناسبه ذكر الألف. والله تعالى أعلم.

زيادة حرف يقتضي حذفه:

١. لَا أَذْبَحَنَّهُ و لَأُعَذِّبَنَّهُ:

من الآيات التي يظهر اختلاف الرسم فيها جَلِيًّا، قوله تعالى في سورة النمل:﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٢١﴾ إذا ما أنعِم النّظرُ في هاتين الكلمتين: (لَأُعَذِّبَنَّهُ ،ولَأَذْبَحَنَّهُ) ،فإنّ المتبصِّر سيقف على افتراقٍ في الرسم الكتابي، وإخالُ أنّ الهاجسَ الذي يسكنُ خاطره، أنّهما مادّتان لهما أصلٌ كتابي واحد، لكن زيدت

الألف بعد "لا" في الثانية[1]،ولم تثبت في الأولى،ويقف الباحث متسائلا، فيما إذا كانت الكتابة مقصودة من الكاتب، أم أنها تتبع مدرستين متباينتي القاعدة اللغوية[2] ؟ وبناءً على هذا يكون الرسم مغايرًا، عِلمًا أنّ القاعدة الإملائية تقتضي حذف الألف، لا زيادتها.

زاد كتّاب المصاحِف "الالف" في الرَّسْم، بِإجْماع منهم فِي أصلِ مطّرد، وخمسة أحرف مفترقة، فأما الأصل المطرد، فهو ما جاءَ من لفظ مِائَة وَمِائَتَيْن، وَأما الخمسة الأحرف، فأولها في التَّوْبَة: ولأاوضعوا خلالكم ، وَكَذَا فِي النَّمْل: أو لأاذبحنه...[3].

و تُنبّه الكتابة بطريقة حذف الألف في "لأعذبنّه" ، وزيادتها في "لاأذبحنّه"، إلى أمور منها: أن حركة الأولى مضمومة، فهي واضحة نطقًا، أمّا الثانية فهي مفتوحة، والهمزة (الفتحة الطويلة)لم تكن لها صورة كتابية في تلك الفترة، ولا سيما المتوسطة[4]، فاحتمال كتابة الألف للتأكيد على وجود الهمزة المفتوحة، وحتى لا تُقرأ بالتسهيل؛لأن الفتحة

---

[1]) انظر: أبو داود، سليمان بن نجاح ، **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، ج٤ ص ٩٤٤ ؛الجهني، ابن معاذ،(دت) **كتاب البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عَمَّان، الأردن، ط، ١، ص ٤٦؛ العقيلي، إسماعيل بن ظافر،ت ٦٢٣ (١٤٣٠ه) **مرسوم خط المصحف**، تحقيق: محمد عمر الجنايني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ص ١٦٨

(٢) انظر: الحمد، غانم قدّوري،(١٤٠٢ه) **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، ط١، ص ٣٠٢

٣) انظر: الداني، أبو عمرو ،عثمان بن سعيد ت: ٤٤٤هـ،(١٤٠٧ه) **المحكم في نقط المصاحف**،تحقيق: د. عزة حسن،دار الفكر، دمشق،ط٢، ص ١٧٤؛ أبو داود، سليمان بن نجاح **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، ج٥ ص ١٢٢٤

(٤) انظر: الحمد، غانم قدّوري، **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، ص ٣٠٢

ألف[1]، ولكنّ هذا لا ينطبق على آيات أخرى ،كما في قوله تعالى: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ)[الممتحنة: ٤]، ويذكر الداني أربعة احتمالات[2] للكتابة بهذه الصورة، فأحدها: أن تكون صُورَة لفتحة الهمزَة من حيْثُ كانتِ الفتحة مأخوذة مِنْهَا، فلذلِك جعلت صورة لها؛ ليدلَّ على أنَّها مأخوذة من تِلكَ الصّورة، وأن الإعراب قد يكون بهما مَعًا، والثَّاني: أن تكون الحركَة نَفسها، لا صورة لها، وذلكَ ان العَرب لم تكن اصحابَ شَكْلٍ ونقط، ففكانت تصوّر الحركات حروفًا؛ لِأن الإعراب قد يكون بها، كَمَا يكون بهن، فتصور الفتحة ألفا، والكسرة يَاء، والضمة واوًا، فتدل هذه الاحرف الثَّلاثة، على مَا تدل علَيْه الحركات الثَّلاث، من الفتْح والكَسْر والضَّم.

والثَّالث: أن تكون دَليلا على إشباع فَتْحة الهمزَة وتمطيطها في اللَّفْظ؛ لخفاء الْهمزَة وَبُعد مخرجها، وفرْقًا بَين مَا يُحقّق من الحركات، وبين مَا يختلس مْهنَّ، وليْسَ ذلك الإشباع، والتمطيط، بالمؤكد للحروف، إذْ ليْس من مَذهب أحدٍ من أئِمَّة القراءَة، وَإنّما هُوَ إتْمام الصَّوْت بالحركة لا غير.

والرّابع: أن تكون تَقْوية للهمزة، وبيانًا لها؛ ليتأدّى بذلك معنى خفائها، والحرف الَّذي تقوّى به قد يتقدمها، وَقد يتأخَّر بعْدهَا.

وأمّا من حيث الدلالة ، فيرى الباحث أن الهيئة الكتابية (بهذا الشكل) توحي بعدم الرغبة في الذبح، وكأنه يقول (لا أرغب في ذبحه)

---

(١) الكردي، محمد طاهر عبد القادر، ت: ١٤٠٠هـ،(١٣٦٥ هـ) **تاريخ القرآن الكريم**، ط ١: مطبعة الفتح جدَّة ، السعودية، ص ١٧٦

(٢) انظر:الداني، أبو عمرو، **المحكم في نقط المصاحف**، ص ١٧٦-١٧٩

بصيغة النفي ،أي أن سليمان عليه السلام، يرغب في أن يعذّب الهدهد على غيابه، وهو الأولى عنده والمقدّم على الذّبح في الآية؛ ولأن غيابه عن مكان تواجده، يستحق العقاب، فإن وصل جُرمه إلى ما يستحق القتل، قتَله، وإلاّ فالعذاب أولى من القتل، ثم استدرك سليمانُ عليه السلام بحكمته أن يكون الهدهد قد غاب بسببٍ ما، وقد يكون غيابه مُبرّرًا، فقال" أوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ" يبيّن فيه الطائرُ سبب تغيّبه، وهذا ما حصل فِعلا فبعد مدّة من الزمن، جاء الهدهدُ، وقدّم عذرَه لسليمان ﷺ، وبَيّن فيه سبب تغيبه، (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢)[النمل:٢٢]

ويرى بعض العلماء، أن الزيادة جاءت؛ تنبيهًا للدلالة على أنّ المؤَخَّر أشدّ، وأثقل من المقدّم عليه لفظًا، فالذّبح أشد من العذاب [1].

تنوع الشكل الكتابي:

١. **طغى وطغا**

ورد الفعل " طغى" في القرآن الكريم بصورتين مختلفتين، الأولى" طغى" بألف مقصورة، ست مرّات، والثانية: "طغا" بألف ممدودة، مرّة واحدة فقط، وقد ذكر الداني أن "طغا" قد رُسمت بهذه الصورة على مُرادٍ ليس في القرآن غيره، كما أشار إلى أن مصاحف أهل

[1]) المرّاكشي، أبو العباس، أحمد بن البنّاء، ت ١٣٢٦هـ،(١٩٩٠م) **عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ص٥٦

العراق، قد التزمَتْ رسمًا واحدًا في الفعل "طغى"، هو الياء فقط[1]، وقد يكون هذا بسبب القراءة في العراق، حيث قرأها الكسائي وحمزة بالإمالة[2]، وهما كوفيّان.

ويرى المتتبع لآيات القرآن الحكيم، أن الفعل "طغى" بالألف المقصورة، قد ارتبط بطُغيان البشر، في خمس آيات كريمة، هي: (ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ٢٤)[طه:٢٤] ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ١٧ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ١٩ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَى ٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَى ٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤ ﴾ [النازعات:١٧-٢٤]

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ٤١ ﴾ [النازعات:٣٧-٤١]﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه:٢٤] و ﴿ ٱذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه:٤٣]﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه:٤٥]

وارتبط الفعل في البصر، وهو من متعلقات البشر بآية واحدة هي قوله تعالى: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم:١٧]

---

[1]) انظر: الداني، **المقنع في رسم المصاحف**، ص ٧٠؛ المارغني ، **دليل الحيران على موارد الظمآن**، ص ٢٨٩؛ العقيلي، **مرسوم خط المصحف**،ص ٢١٩

(٢) البنّاء، أحمد بن محمد الدمياطيّ، شهاب الدين ت: ١١١٧هـ،(١٤٢٧هـ) **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**،تحقيق: أنس مهرة،دار الكتب العلمية ، لبنان،ط٣، ، ص ٥٥٤

كما وردت صيغة "أفْعَل" الدالّة على التفضيل، من الفعل "طغى" مرتبطة بالبشر أيضًا في قوله تعالى: وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾[النجم:٥٢]

وجاء بصيغة المضارع في آية واحدة، ومرتبط أيضًا بالبشر في قوله تعالى:(كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦)[العلق:٦]

وجاء الفعل بدلالة جديدة، تعلّقت بالصوت، وبالعقاب الإلهي، في قوله تعالى: (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ)[الحاقة:٥].

أما الصورة الكتابية الثانية، فقد ارتبط الفعل فيها بالماء،الذي أغرق الله تعالى فيه مَن كفر من قوم نوح ﷺ، وهذا العمل ليس مرتبطًا بالبشر، في قوله تعالى:(إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ)[الحاقة:١١]

وقد ذكر العلماء تعليلات لهذا التنوع الكتابي(طغى و طغا) أذكرُ منها: أن ظهور الألف "الممدودة" يدلّ على استواء قسمي الوجود في معناه، وهذا على خلاف حال " فرعون" وطغيانه؛ لأن هذا يعتبر من جهة نفسه، ومن جهة أفعاله، وجهة النفس الباطن أظْهَر في الإدراك[1]. ورأى بعضهم أن كتابة " طغا" تنبيهًا إلى طغيان الماء رأسيًّا " عموديّا" بشكل أكثر كثافة من طغيانه أفقيًّا، مما يساعد في جريان السفينة وركوبها، كما أن الرسم بالألف الممدودة، يدلّ على سرعة طغيان الماء، وذلك أن امتداد

١) انظر: المراكشي، ابن البنّاء، **عنوان الدليل**، ص ٨٤

الألف (ا) قليل جدًا بالنسبة لامتداده في الاتجاه الرأسي[١]، أمّا "طغى" بالألف المقصورة، فإنّ رسمها يوحي بامتداد الطغيان في الاتجاهات العَرْضيّة والجانبيّة؛ لِتشمل الناس و الأشياء، كما يوحي ذلك الامتداد الأفقي بطول مدّة الطغيان، وأنّ الطغيان يكون ماديًّا ومعنويًّا[٢].

ورغم وجاهة هذه التعليلات، إلا أنه ينبغي النظر في الصياغة الصرفيّة واشتقاقاتها، وفي الدلالة المعجمية؛ لِتتضح الصورة بشكل أفضل مما هي عليه.

لقد ذكرت المعاجم اللغوية ثلاثة أشكال للفعل " طغى" [٣] هي:

الأول:طغَى يطْغَى كَسَعى يسعَى، والثاني:طغِيَ يطغَى كَرَضِيَ يرْضَى، والثالث: طغَا يطْغُو كَعَلا يَعلو، ورغم وجود هذه الصور الثلاث للفعل في المعاجم اللغوية، إلاّ أن عدم دِقة المعاجم في ترتيب الاشتقاقات الصرفية تحت كل صورة يبدو واضحًا، وما يدلّ على تداخل المواد، بلْ لنقلْ: إنّ طغيَ صنو طغى، عندما ذكرت مصادر الفعل، قال: وطغِيَ كَرَضِيَ يطغَى طغْيًا[٤]، وهذا خطأ جليّ؛ وذلك أنّ "طغيًا" ينبغي أن يكون من مصادر طغَى يطْغَى كَسَعى يسعَى(سعْيًا)، لا من مصادر " طغِيَ"، ويجب أن يكون

---

١) انظر: شلول، محمد،**إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة**، ص ١٨٦

٢) انظر: شلول، محمد، **إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة**، ص١٨٦-١٨٧

٣) انظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن منظور، محمد بن مكرم ت ٧١١هـ،(١٤١٤ه) **لسان العرب**،دار صادر، بيروت ، ط ٣،ج ١٥ص٧ ؛ الجوهري، أبو نصر إسماعيل ، ت: ٣٩٣هـ،(١٤٠٧ هـ) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين ، بيروت، ط ٤، ج ٦ص٢٤١٢ ؛ الزَّبيدي، محمد مرتضى، ت ١٢٠٥ه،(د.ت) **تاج العروس من جواهر القاموس**،مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط١،ج ٣٨ص٤٩٢-٤٩٥

٤) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٥ص٧

مصدر " طغِيَ" طغًىً" حال" رَضِي رضَىً"، وجاء خلطٌ آخر عند تفسير قوله تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١)[الحاقة:١١]، ذكر أن مضارع هذا الباب فيحتمل أن يكون من باب رَضِيَ ومن باب سَعَى[١]، وجاء خلط ثالث في الاشتقاقات الصرفية عند الحديث عن طغَا يطغُو طغوًا كَعَلا يَعلو،حيث ذكر الأزهري أن الطُّغوان لغة في الطُّغيان والطّغوى مثله، والفعل: طغَوت وطغَيت، والاسم " الطّغوى"[٢] ، ولم يتوقف الخلط على مستوى الصرف، بل تعدّاه إلى الدلالة المعجمية، حيث وضعت دلالة صورة من صور الفعل "طغى" للصورة الثانية، وسيتم الحديث عنها لاحقًا.

ومستصفى القول الذي يراه الباحث، أنّ الاشتقاقات الصرفية، يجب أن تكون على النحو الآتي:

الأول: طغِي يطغَى طغًىً و طغوانا كَرضِي يرضى رضىً ورضوانا

الثاني: طغَى يطغَى طغيًا وطغيانا كَسعى يسعى سعيًا.

الثالث: طغَو يطغو طغوًا وطغوانا.

أمّا الطغوى بزنَة "فعلى"فأصلها الطّغيا، وهي من "طغِيَ" ؛ لأن "فعلى" إذا كانت من ذوات الياء فإن الياء تُبدل واوًا في الاسم؛ تمييزًا لها عن الصِّفة، كما هي "التقوى أصلها تَقيت"[٣].

---

١) الزَّبيدي، **تاج العروس**،ج ٣٨ ص ٤٩٣

٢) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٥ص٧ ؛ الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج ٨ ص ١٥٣

٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٥ص٧

وما حصل من خلط في الصرف، حصل في الدلالة، وأكتفي بما ذكره الزَّبيدي: "ثمَّ إنَّ هذه المعانِي الَّتي ذكَرَها المصنِّفُ إنَّما هيَ تفاسير لِقولِهم: طغَى كسَعَى لا كرَضِيَ"[1].

أمّا ما توصّل إليه الباحث في الدلالة المعجمية، فقد وجدها في مجملها تتعلق بالصيغة الصرفية،فالصورة " طغِيَ" ومشتقاته، ارتبطت دلالتها بالصوت، وذلك أنّ الطّغي هو الصوت، وهي لغة هذيل، يقال: سمعت طغْي فلان، أي: صوته، ومنه طغت البقرة تطغى : صاحت، ويقال للبقرة الخائرة: الطُّغيا[2]، ومنه قوله تعالى: : (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥)[الحاقة:٥]، وقد ذكر في آية أخرى، أن الطاغية هي الصوت، قال تعالى: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبٗاۚ وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُۚ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠)[العنكبوت:٤٠]، والذين أخذتهم الصيحة هم ثمود[3].

أمّا طغَى كَسَعَى، فقد ظهرت دلالته متعلقة بمجاوزة القدر، أو الحدّ في العصيان[4]، ويصدّق هذا إشارة ابن فارس إلى أنّ: "الطَّاء وَالْغَيْن وَالْحَرْف الْمُعْتَلّ أَصْلٌ صَحِيحٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي الْعِصْيَانِ"[5]،

---

١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، ج٣٨ ص ٤٩٣

٢) انظر: الزَّبيدي، **تاج العروس**،ج ٣٨ ص ٤٩٣

٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج٢٠ ص٢٥١

٤) الزّبيدي، **تاج العروس**، ج٣٨ ص ٤٩٢

٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٣ ص ٤١٢

ومع انحراف بسيط في الدلالة، نجدها عند الراغب مع شيء من الزيادة، وهي: "مُجَاوزَة الْحَد فِي الْمَكْرُوه مَعَ غَلَبَة وقهر"[1].

وتختتم المعاجم اللغوية تعلّق دلالة الفعل "طغا" بالطاغوت، وفخامة اللفظ تدل على فخامة الْمَعْنَى، فِيمَا يجْرِي هَذَا المجرى، إذ "الطاغوت" أبلغ من الطاغي لِفخامة لَفظه، وَلَكِن كثر اسْتِعْمَال الطاغوت، حَتَّى سُمِّيَ كلُّ مَا عُبدَ من دون الله طاغوتا، وَسُمِّيَ الشَّيْطَانُ بهِ؛ لشدَّة طغيانه، وكلّ مَنْ جَاوز الحَدَّ فِي ضربٍ، أو مَعْصِيَةٍ، من الشَّرّ وَالْمَكْرُوه فقد طغى[2].

والذي يراه الباحث، أن كتابة "طغا الماء" المتعلقة بالآية من هذا الباب، الذي يدل على الشِّدّة والمبالغة في قوة الماء وقهْره، رغم أن القاعدة الإملائية، تقتضي أن يُكتب الفعل طغا بالألف الممدودة، إذا كانت الألف أصلا من الواو، وبالتالي فإن كاتب الوحي خالف الفعل " طغى" ورسَمَه في الآية "طغا" تنبيهًا على قوة الماء من جميع الاتجاهات، وأنه وصل إلى حدّ لا يمكن أن يصل إليه مرة أخرى، إلى قيام الساعة، وهنا يتضح ما تبعثه المفردة القرآنية في استعارة المعقول للمحسوس، ويمكن استكشاف جوهر الكلمة ومدلولها، خلال محاولة تخيّل الصورة التي حدثت في تلك الفترة، حيث حلّ عذاب الله باختراق السنن الكونية، الصّادمة لفكر الإنسان وعقله، في مشهد لا يمكن مواجهته، تمثّل بالتبدّل والتحوّل في واقع الماء، الذي تغيّر من نعيمٍ مقيم إلى عذاب جحيم، فما يشاهدونه

---

١) الحسن بن عبد الله بن سهل ،ت ٣٩٥هـ، (د.ت) **الفروق اللغوية**،تحقيق: محمد إبراهيم سليم،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٢٣٠

٢) العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، ص ٢٤٧

خارج عن طوْق جميعهم،بل عن طوْق جميع الخلائق، تجاوزتْ حدودَ المعقول والمحسوس، مجرّد أن فار التنور، كان القرار الإلهي قد صدر، فتفجرت الأرض عيونًا كالبراكين، أو أشدّ قسوة، دمّرت ما حولها، وتصدّعت الأرض كالزلازل، وانهمر مطر السماء شديدًا، واختلط بماء الأرض، وازداد الماء شدّة ودمارًا، هُدمت البيوت، واقتُلِعت الأشجار، والتجأ الناس إلى الجبال، والكهوف، بعد أن فقدوا كل مأوى، ولكن الماء قد انتشر في كل مكان، وعلت الأصوات والصرخات، ولكن أنّى تُسمَع! فقصف الرعد كالمدافع يصمّ الآذان، وبرق السماء يكاد يخطف الأبصار، ودوي الريح في كل مكان، ولا تسمع إلا صوت الدمار والانفجار، وتغرق الجبال الشاهقات في دقائق، ولم يبقَ شيئ يُرى،فلَفَّ الماءُ الأرضَ من كل مكان، فلا جبل ولا شجر، ولا بيت ...، إلا وغمرته المياه ، وبدأت الصورة الجديدة تظهر شيئًا فشيئًا بحارًا ومحيطاتٍ ضخمة، تسير فيها سفينة النجاة في موجٍ كالجبال ،إلى مكان جديد، لا فسادَ فيه، ثم جاء أمر الله للأرض :ابلعي ماءك،ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وبدأت تظهر الأرض من جديد، جبالها وسهولها و ...، (قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ) وبدأت حياة البشر من جديد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فربما تكون المخالفة تمييزًا بين الطغيان المتعلق بالبشر، كما هو حال الآيات السابقة، وبين الطغيان غير المتعلق بالبشر، وإلاّ فكيف يمكن تفسير قول العلماء: إن الطغيان مجاوزة الحدّ في العصيان؟ فأين العصيان في طغيان الماء؟ والله تعالى أعلم.

٢. **لدا و لدى:**

ومن الكلمات المشابهة لما " طغى و طغا" وهي من الأمثلة المحيرة لدى القرّاء، وقام كتّاب الوحي برسم كلمة " لدى" بشكلين مختلفين، أحدهما بالألف القائمة الطويلة " لدا" والآخر: بالألف المقصورة " لدى"، وذلك في آيتين من كتاب الله تعالى . الأولى: (وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥)[يوسف:٢٥]

والثانية: (وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨)[غافر:١٨]

فقد اتفقت المصاحف على كتابتها بهذا الشكل في سورة يوسف، واختلفت في كتابتها في سورة غافر، فرُسِمت بالألف الطويلة، كما رسمت بالألف المقصورة، والأكثر كتبها بالمقصورة [١]، وقد أورد العلماء عددًا من التفسيرات للكتابة بهذا الشكل منها: أن المعنى المقصود في "لدا" في سورة يوسف هو "عند" ، والمعنى المقصود في "لدى" في سورة غافر هو "في "؛ فلذلك فرّق بينهما في الكتابة [٢]، ويضيف الدّاني علّة نحوية لهذا الرسم: وقال النحويون: المرسوم

---

[١]) انظر: الداني، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، ص ٧١، ١٠٥؛ المارغني، **دليل الحيران على موارد الظمآن**، ص ٣٠٣؛ أبو داود، سليمان بن نجاح ،ت: ٤٩٦هـ، (١٤٢٣ هـ)**مختصر التبيين لهجاء التنزيل**،منشورات مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة، ط١، ج٥ ص ١٤٥٩

[٢]) الداني، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، ص ٧١

بالألف على اللفظ ، والمرسوم بالياء لانقلاب الألف ياءً، مع الإضافة إلى المكنّى كما رسم " علىّ " و " الىّ " كذلك[1] بيدَ أن هناك مَن يرى أن الكتابة في العهد العثماني، كانت تأخذ في التطور والاستقرار شيئًا فشيئًا، وتحاول أن تتخلّص من الشكل القديم، الذي ورثته عن اللغات الساميّة، ولا سيّما الساميّة الأم، ووجد الكاتب نفسه بين تعارضين هما: القديم والحديث، فكتب إحداهما بالشكل القديم، والأخرى بالشكل الحديث[2]، ولا يسلّم الباحث بهذا الرأي؛ لأن المصاحف اتفقت على "لدا" ولم تختلف ، واختلفت في " لدى" فلو كان الأمر كما قال لاختلفوا أيضًا في " لدا"، واختلافهم في" لدى" يؤكد عدم صحة هذا الرأي، إذ لو كان الرأي صوابًا، لوجب اتفاقهم في الاثنتين، لتكون واحدة برسم قديم، والثانية برسم جديد، ويعني هذا الرأي أنّ الصحابة أنفسهم لم يكونوا متفقين على شكلٍ كتابيّ واحد، وينافي هذا ما ورد في كتب الرسم القرآني، ويذهب شملول إلى أن الرسم في سورة يوسف، (لدا)،يوحي بأن سيّدها كان ملتصقًا بالباب، ولا توجد بينه وبين الباب مسافة[3]، ويعلّل كتابتَها في سورة غافر (لدى) بأن الالتصاق بين القلوب والحناجر معدوم، فهناك مسافة بينهما[4]، أمّا الباحث فيرى أن الاختلاف في الرسم، كان بسبب اختلاف الهيئة، التي يكون عليها المتعلّق بالكلمة مختلفة، هذا من

---

[1]) الداني، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، ص ٧١

[2]) الحَمد، غانم قدّوري، **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، ص ٣٢٧

[3]) انظر: شملول، محمد، (١٤٢٧هـ) **إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة**، دار السلام، القاهرة، ط ١، ص ١٨٥

[4]) انظر: شملول، **إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة**، ص ١٨٥

ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأولى، هيئة ظاهرة حسيّة، والثانية، هيئة غير ظاهرة معنوية، ففي الأولى، كان سيّدها واقفًا قريبًا جدًا من الباب، فرسمت بالألف القائمة، وكأن الآية تقول: وألفيا سيدها قائمًا(واقفًا) لدى الباب، أمّا الآية الثانية فتتحدث عن الحالة التي تصيب الإنسان في لحظة الخوف الشديد، وكيف يكون قلبه، ولا سيّما أن الهيئة لمّا تقع ، فهي وصف للقلوب يوم القيامة الذي وصف بصفات هائلة مهيبة، منها أن القلوب تبلغ الحناجر من شدّة الخوف، وليس بالضرورة أن يكون البلوغ حقيقيًا، أي أن يخرج القلب من مكانه، بل إن الخائف يحاول أن ينكمش على نفسه، فتتشنج عضلاته وتتقلّص، وتكاد أعضاء جسده تلتصق بعضها ببعض ، حتى كأنها متكورة على بعضها بما يشبه الألف في لدى، ولا تتناسب هذه الهيئة مع هيئة مَن يكون واقفًا مطمئنًا، يريد أن يدخل إلى بيته.

٣. <u>القواعد</u>

من الآيات التي تعدّد رسم الفتحة الطويلة (الألف) في كتابتها، وهي مما يصلح للتأشير على أن الرسم له قواعده الخاصة ، إضافة إلى قواعده العامّة التي اتبعها كتبة الوحي رضوان الله عليهم، آيتان في كتاب الله جاءتا برسم واحد، للفتحة الطويلة، بألف طويلة وسط الكلمة، في كلمة (القواعد) و جاءت الفتحة الطويلة مرة واحدة بألف صغيرة ، في غير هاتين الآيتين في الكلمة ذاتها(القواعد)، أمّا الآيتان المتفقتان في الرسم فهما: (وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧)[البقرة:١٢٧] } ، وقوله تعالى : (قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن

قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦)[النحل:٢٦]

وأمّا الشكل الثاني للرسم، المتمثل في حذف الألف[١] فهو قوله تعالى: (وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠)[النور:٦٠] ، وهي مثبتة في مصحف المدينة النبوية، ومصحف جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبيا) برواية ورش عن نافع، والقواعد كما يرى علماء اللغة جمعٌ، قال الجوهري:"والقاعِدُ من النساء، التي قعدتْ عن الولد والحيْض، والجمع القواعِدُ"[٢] ، ودلالة الجذر كما يرى ابن فارس : "الْقَافُ وَالْعَيْنُ وَالدَّالُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ لَا يُخْلَفُ، وَهُوَ يُضَاهِي الْجُلُوسَ وَإِنْ كَانَ يُتَكَلَّمُ فِي مَوَاضِعَ لَا يُتَكَلَّمُ فِيهَا بِالْجُلُوسِ.... قَعِيدَةُ الرَّجُلِ: امْرَأَتُهُ... وَقَوَاعِدُ الْبَيْتِ: أَسَاسُهُ[٣]. ويقال للواحدة من"قواعد البيت":"قاعدة"، وللواحدة من"قواعد النساء" وعجائزهن:"قاعد"، فتلغى هاء التأنيث، لأنها"فاعل" من قول القائل:"قعدت عن الحيض"، ولا حظَّ فيه للذكورة، كما يقال:"امرأة طاهر وطامث"، لأنه لا حظ في ذلك للذكور. ولو عنى به"القعود" الذي هو خلاف "القيام"، لقيل:"قاعدة"، ولم يجز حينئذ إسقاط هاء التأنيث[٤].

---

(١) انظر:أبو داود، سليمان بن نجاح ، **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، ج٥ ص ١٤٧٥

[٢]) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٢ ص ٥٢٥

٣) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج ٥ ص ١٠٨-١٠٩

[٤]) تفسير الطبري = جامع البيان، تحقيق:محمد شاكر ،ج٣ ص ٥٧

ويمكن القول: إن القعود فيه ثبات للشيء في مكانه، وكأنه يتوقف عن الحركة، فلا يتقدّم ولا يتأخّر عن موضع مرجعيّ، ويرتكز إلى مكان ثابت يسكن فيه ويستقر، وهو للبشر: الجلوس ضد القيام أو المشي، أو الرحيل، ومستصفى القول : إنَّ النساء القواعد، قد قعدن عن دورهن الأساس في الحياة، ألا وهو الحمل والإنجاب، وباتت حركاتهن قليلة ،كالشيء الثابت، الذي لا يقدر على الحركة.

وأمّا قواعد البيت، فقد سميّت بهذا؛ لأنها أجزاء ثابتة مستقرة، لا تتحرك، يقوم البناء معتمدًا عليها، وتفريقاً لها عن الأجزاء التي تحركها الريح فوق سطح الأرض.

وبما أن الاختلاف واضح بين قواعد البيت وقواعد النساء، فقد جاء الرسم متعددًا؛ للدلالة على افتراق الدلالة.

الخاتمة والنتائج:

لعلّه يصحّ في الفهم أنْ يقال: إنّ العناية الإلهية قد التقت مع العناية البشرية في حفظ القرآن الكريم، تمثّلت الأولى في حفظه من التحريف والتبديل، وتمثلت الأخرى في حفظه في الصدور ، والسطور، وقد استوت الكتابة القرآنية على سوقها، فظهرت في كثير من الكلمات التي خرجت عن القاعدة الكتابية المتّبعة في تلك الفترة، واعتمادها قواعد خاصة متعلّقة بالدلالة تارة، وبالقراءات تارة أخرى، وصفوة ما توصل إليه الباحث:

- ✓ كُتب القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتدخل الوحي في الكتابة القرآنية، بل كانت عملا بشريًا.
- ✓ رسمت كلمات القرآن الكريم، بناءً على قواعد كتابية عامّة ، وخاصة ارتضاها كاتب الوحي.
- ✓ الكلمات التي اختارها الباحث في ثنايا هذه الورقات، تبين أن القاعدة الخاصة التي اعتمدها كاتب الوحي ، متعلقة بالدلالة.
- ✓ لا يصح القول أن كاتب الوحي أخطأ الكتابة، كما لا يصح القول إن الكاتب كان جاهلا في القواعد الكتابية.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأزهري، أبو منصور محمد ، ت: ٣٧٠هـ،(٢٠٠١م) "تهذيب اللغة"، تحقيق:محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١

٢- البنّاء، أحمد بن محمد الدمياطيّ، شهاب الدين ت: ١١١٧هـ،(١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر،تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية ، لبنان،ط٣

٣- الترمذي، محمد بن عيسى، ت٢٧٩ه، (١٩٩٨م) الجامع الكبير - سنن الترمذي،تحقيق: بشار عواد معروف، منشورات: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١

٤- جبريل، حياة بن محمد،(١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية،ط١

٥- الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن ت: ٤٧١هـ،(١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) دَرْجُ الدُّرر في تَفسير الآي والسُّوَر، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان و محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر- عمان، الأردن، ط ١

٦- الجرجاني، علي بن محمد، ت ٨١٦هـ، (١٤٠٣ه-١٩٨٣)التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١

٧- الجهني، ابن معاذ،(د.ت) كتاب البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط، ١

٨- الجوهري، أبو نصر إسماعيل ، ت: ٣٩٣هـ،(١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين ، بيروت، ط ٤

٩- الحَمد، غانم قدّوري،(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، منشورات اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، ط ١

١٠- الداني، أبو عمرو ،عثمان بن سعيد ت: ٤٤٤هـ،(١٤٠٧ه) المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق،ط٢

- الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد،(ت: ٤٤٤هـ)،(دت)المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،(د ط)

١١- أبو داود، سليمان بن نجاح ،ت: ٤٩٦هـ، (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) مختصر التبيين لهجاء التنزيل،منشورات مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ط١

١٢- ابن أبي داوود، أبو بكر ، عبد الله بن سليمان ، ت: ٣١٦هـ،(١٤٢٣-٢٠٠٢)كتاب المصاحف، تحقيق: محمد عبده، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١

١٣- الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر، ت: ٦٠٦هـ،(١٤٢٠ هـ) "مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط ٣

١٤- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت: ٥٠٢هـ،(١٤١٢ه) "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق- بيروت، ط١

١٥- الزَّبيدي، محمد مرتضى، ت ١٢٠٥هـ،(د.ت) تاج العروس من جواهر القاموس،مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط١

١٦- الزرقاني، محمد عبد العظيم،(د.ت) مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت

١٧- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر ،(١٤٠٧ه)"الكشاف عن

حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣

١٨- ابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم ،ت: ٢٢٤هـ،(١٤١٥ هـ -١٩٩٥م) فضائل القرآن،تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين،دار ابن كثير (دمشق - بيروت)،ط ١

١٩- ابن سلام، يحيى بن أبي ثعلبة، ت: ٢٠٠هـ،(ط: ١٩٧٩ م) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، قدمت له وحققته: هند شلبي،الشركة التونسية للتوزيع

٢٠- ابن سيده، أبو الحسن، علي بن إسماعيل ،ت: ٤٥٨هـ،(١٤٢١-٢٠٠٠) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١

٢١- الشحود، علي نايف،(د.ت) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ، د.ط، د. م

٢٢- شملول، محمد،(١٤٢٧هـ) إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، دار السلام، القاهرة، ط ١

٢٣- الشيخ، ناصر بن علي،(١٤١٥هـ-١٩٩٥م) مباحث العقيدة في سورة الزّمَر، مكتبة الرشد، الرياض السعودية،ط، ١

٢٤- الطبراني،أبو القاسم سليمان بن أحمد ،ت:٣٦٠ه،(١٩٨٣)المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،دار إحياء التراث العربي، ط٢

٢٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ،ت: ٣١٠هـ،(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م)جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة،بيروت/ عمّان، ط، ١

[٢٦]- ابن عاشور، محمد الطاهر، ت ١٣٩٣هـ،(ط ١٩٨٤) التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "،

الدار التونسية للنشر، تونس

٢٧- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ،ت ٣٩٥هـ،(د.ت) الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة

٢٨- العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر ،(١٣٧٩ه) فتح الباري شرح صحيح البخاري، اعتنى به :محمد فؤاد عبد الباقي، ومحبِّ الدين الخطيب، وعليه تعليقات الشيخ: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، ط١

- العسقلاني،(٢٠٠٢م) لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية، ط١

٢٩- العقيلي، إسماعيل بن ظافر،ت ٦٢٣،(١٤٣٠-٢٠٠٩) مرسوم خط المصحف، تحقيق: محمد عمر الجناييني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١

٣٠- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء ، ت: ٣٩٥هـ،(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات: دار الفكر

٣١- الفالوذة، أبو إبراهيم، محمد إلياس ،(١٤٢٣ هـ) الموسوعة في صحيح السيرة النبوية ،مطابع الصفا،مكة المكرمة، ط١

٣٢- الفراهيدي، الخليل بن أحمد،ت ١٧٠هـ،(د.ت) "العين" ،تحقيق: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٣- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت: ٢٧٦هـ،(د.ت) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،(د.ط)

٣٤- الكردي، محمد طاهر عبد القادر،ت: ١٤٠٠هـ،(١٣٦٥هـ -١٩٤٦م) تاريخ القرآن الكريم،ط١، مطبعة الفتح،جدَّة السعودية

٣٥- الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني،(د،ت) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،ت ١٠٩٤هـ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة ، بيروت (د.ط)

٣٦- المارغني، أبو أسحاق،إبراهيم بن أحمد، ت ١٣٤٩ه،(د،ت) دليل الحيران على موارد الظمآن، دار الحديث، القاهرة.

٣٧- مجموعة من العلماء، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،(١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، منشورات: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط ١.

٣٨- المرّاكشي، أبو العباس، أحمد بن البنّاء، ت ١٣٢٦هـ،(١٩٩٠م) عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١

٣٩- مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير، ت: ١٥٠ه،(١٤٢٣ هـ) تفسير مقاتل بن سليمان،تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط، ١

٤٠- ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ،(١٤١٤هـ) لسان العرب،دار صادر، بيروت ، ط ٣

٤١- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد ت: ٣٣٨هـ،(١٤٠٩) معاني القرآن،تحقيق: محمد علي الصابوني، منشورات: جامعة أم القرى -مكة المكرمة،ط١.